مرثية شهداء الجزائر

دفعوا ثمن القبلات لعشاق الغد
ثمن الاغنية الاولى في لحن لم يبدأ بعد
ثمن الجلسات الزرقاء على شاطىء نهر
ثمن الاجنحة المبسوطة للطير
ثمن الزرقة فوق جزائرهم
ثمن مناجمهم
ثمن العيد لميلاد الطفل الاول
ثمن الانسان الضائع في قلب بلاده
ثمن دجاج الريف وثمن جياده

* * *

بدأوا في منتصف الليل مهمتهم
كان القمر حزينا يجتاز حدود مدينتهم
ويموت بعيدا في طرف العالم
ما كان القمر يطيق بأن يبصر يوما
في أفواه الاطفال خناجر
بدل الحلوى
أن تخرس من قلب العاشق نجوى
أن يبكي الزيتون زمانا اسود من لونه
حتى الطير بنى عشا من حزنه
وجزائرهم كانت فرخ يمام أخضر
ولد يتيما في منقار الصقر
كانت حقلا نهبوا منه ترابه
بيتا كسروا بابه
كانت زوجة مقتول لا تعرف أين مصيره
كانت جدة
تبصر نارا في عين حفيدتها
كانت اما سلخوا مثل الشاة فتاها
كانت شيخا صلبوه أمام وليدته الصغرى
كانت عذراء تغني حلما
جعلوا من ثدييها منفضة سجائر
من كتفيها موطىء نعلين لعاهر

* * *

وجزائرهم كانت شاعر
قطعوا من جذر الحلق لسانه
كانت نهرا لا يجري
مطرا أسود فوق قوافل عمياء
كانت علما لا حامل له
كانت ابنا يبحث عن والده
شمسا تبحث عن نافذة لمدار

* * *

وانطلقوا قسما يصرخ في حبات الرمل
وانتفضوا وارتعش الليل
أنهار حمراء تدفق نحو الدغل
كانوا الويل
كانوا الويل
جاءوا من حبات الزيتون الاسمر
جاءوا من أضلع نهر
خرجوا من بين الخنجر والظهر
خرجوا خلف الليل العاري
خلف قوانين فرنسا
كانوا مليونا من انهار حمراء تدفق نحو القلب
قلب جزائرهم
كي تبنى الرؤية في العينين
وتعيد البسمة للشفتين
وتغني عاشقة للحب العائد

* * *

سندوا ببريق خناجرهم أجنحة الفجر
استيقظ من كل الابعاد البحر
خرج نهار من جرح الراقد في حصن المدفع
من بسمة طفل عاد ابوه
من ضحكة صيف فوق الاشجار
من جذوة نار
توقدها أم كي تطهو للابناء طعام الافطار
صبت فى القلب جميع الانهار
الانهار المليون الحمراء
فلكي نحيا لا بد نموت
فالبذرة لا تنمو ان لم تأكلها الارض
ما أروع ان تفدي بعض الاجيال البعض

* * *

رقدوا مليون صديق تحت الزيتون
صنعوا الفصل الخالد
وهبوا الخضرة للاشجار
دفعوا ثمن القبلات لعشاق الغد
ثمن الاغنية الاولى في لحن لم يبدأ بعد

القاهرة

محمد ابراهيم أبوسنه